رجل العلم والسياسة والدعوة :

فوزان السابق الفوزان

١٢٧٥ - ١٣٧٣هـ

الدكتور : محمد بن سعد الشويعر*

* دبلوم تربية من المركز الإقليمي في بيروت عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧م.
- دبلوم إحصاء جامعة القاهرة ١٩٧٥ - ١٩٧٦م.
- دكتوراه من كلية اللغة العربية من الجامعة نفسها ١٣٩٧هـ .
- يعمل الآن مستشاراً لسماحة مفتى عام المملكة، ورئيس هيئة تحرير مجلة البحوث الإسلامية، وعضو الهيئة الاستشارية لمجلة الدرعية.

تتولد المعلومات من البحث والاستقصاء ، وقد توجد معلومات مكتوبة عن شخص ، ومعلومات أكثر محفوظة عند من عاصروه .. والشيخ فوزان بن سابق بن فوزان ، من قبيلة الدواسر من أثرياء عقيل ، ومن علماء بريدة . كان عالماً وتاجراً ، ثم كان سياسياً ودبلوماسياً محنكاً، بل كان من أشهر تجار الخيول الأصيلة في مصر . لم أجد من وفّاة حقّه بالترجمة ، مع قلة ما ذكر عنه ، سوى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون [1] ، الذي جمع ما تيسّر له عنه .. ومع قلته فهو جيّد في موضوعه .

وعندما كنت بالقاهرة طالباً في الدراسات العليا مابين عام ١٩٧٢ - ١٩٧٨م .. وقعت في يدي نسخة من كتابه : البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار، الذي كان بينه وبين الشيخ فوزان مناظرة، حول حقيقة التوحيد، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومناصرة الإمام محمد بن سعود لها. وقد قال في مقدمة كتابه ذلك

(١) ج ٥ : ٣٧٨ - ٣٨٣ .

الذي كانت طبعته الأولى ، في مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر القاهرة ، في الخامس والعشرين ، من شهر ذي القعدة الحرام عام ١٣٧٢هـ [(١)].

أما بعد : فإني لمّا كنت في دمشق الشام ، وذلك في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ ، جمعتني فيها مجالس مع أناس ، ممن يدّعون العلم ، وآخرين ممن ينتسبون إليه ، فكانوا لا يتورّعون عن الاعتراض على أهل نجد ، والطّعن عليهم في عقيدتهم ، وتسميتهم بالوهابية ، وأنهم أهل مذهب خامس ، والغلاة من هؤلاء يكفّرونهم .

ثم قال : وقد جرت بيني وبين من ذكرتهم مباحثات عديدة ، في المسائل التي هي أصل أصول الدين ، وهي التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، ليكون الدين كله له وحده لا شريك له ؛ إذ حصل في هذه المسائل تلبيس على الجهّال ، من أناس يدّعون العلم ، مع أنهم ليس لهم حظّ من العلم ، ولا نصيب من الفهم[(٢)] .

ثم ذكر من أسباب تأليفه لهذا الكتاب : أنه ترك الشام ، وذهب لمصر ، منذ عام ١٣٢٩هـ ، ولم يذكر السبب ، وسوف نوضحه فيما بعد وفق ما برز من مصدر لترجمة حياته ، فقال : ثم إني توجهت إلى مصر ، وأقمت فيها ، وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، تلقيت كتاباً من الشام ومعه رسالة ، ولما فتحت الكتاب وجدته من بعض الذين اجتمعت معهم في الشام ، وحصل البحث بيني وبينهم في هذه المسائل التي أشرت إليها ، يقولون لي : قد أرسلنا إليك بهذه الرسالة ، كي ترد عليها ، إن كان عندك جواب .

فعرفت من كتابهم هذا ، وتحدّيهم لي فيه ، بطلب الجواب عن تلك الرسالة

(١) البيان والإشهار ، الطبعة الأولى عام ١٣٧٢هـ ص ٣٧٤ .

(٢) مقدمة كتابه هذا ص ٣ ، ٤ .

أنهم قد استعظموها في نفوسهم ، معتقدين أنها الغاية القصوى ، في فصل الخصام ، بيني وبينهم في هذه المسائل التي دار فيها البحث .. فلمّا اطّلعت على هذه الرسالة المذكورة ، إذا هي لرجل من المعاصرين ، من أهل الشام يسمّى : الحاج مختار بن الحاجّ أحمد باشا المؤيّد العظمي ، سمّاها : جلاء الأفهام ، عن مذهب الأئمة العظام[1] .

ثم بدأ بعد المقدمة ، في ردّه الذي بلغ ٣٧٤ صفحة في المتن ، دون الفهرس .

هذا الكتاب بعد قراءته ، دفعني إلى الحرص على معرفة المؤلف ، واستقصاء ما يمكن معرفته عنه .. حتى اهتديت إلى بيته في القاهرة ، الذي يعد من بيوت «الباشاوات» في مصر ،لفخامته وسعته وحدائقه .. حيث حاولت الاتصال بكبار السنّ من أهل نجد المقيمين في مصر بأمبابة والمطريّة وعين شمس وغيرها . وفي ندوات الشيخين : عمر ويونس البرّاك ، وخاصة في الصيف بمسكنهم في أمبابة ، حيث يحلو الحديث عن عقيل وذكرياتهم . يقع هذا البيت في شارع حسين حجازي رقم ٦ ، المتفرع من شارعي : القصر العيني غرباً ، والفلكي شرقاً ، مقابلاً لمجلس الشعب .. كانت تلك الأيام تسكنه زوجته : أم محمد ابنه الوحيد ، التي توفيت في عام ١٤٢٠هـ رحمها الله ، وكانت قد اتخذت عادته منذ توفي حتى لحقت به ، في استقبال المحتاجين ، من أصول سعودية ، ومساعدتهم وقضاء حوائجهم : كرماً ونبلاً وهي أيضاً من أسرة نجديّة عريقة ، ممن كانوا يتاجرون ، في قوافل العقيلات ، وحطّوا الرّحال بمصر ، وعاد أغلبهم ، كما عاد غيرهم للمملكة بعد أن وحّد أرجاءها الملك عبد العزيز ، واستتبّ الأمن فيها .

مسيرتي مع كتابه : أعجبني كتابه هذا ، عندما اطلعت عليه في مصر ، كما

(١) مقدمة هذا الكتاب ص ٤ ، ٥ .

أعجب غيري ممن ذكرت له بعضاً من محتوياته العلمية والعقديّة ، حتى كانت فرصة عندما أهداني الأخ الكريم الأستاذ : محمد بن علي الخضير ، نسخة منه ؛ مبدياً رغبة من ابنه محمد بن فوزان ، بأن يطبع هذا الكتاب ، حيث طبعه هو بالتّصوير ، وبنسخ محدودة ولم يحقق الانتشار الذي كان يؤمله .. وقد سُمّيتْ هذه الطبعة الخامسة ، ولكن في حقيقة الأمر أنها الثانية، حيث لم نجد بعد البحث والاستقصاء لطبعات غيرها ذكر . وطالباً عرضه على سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - للاطلاع عليه ، ووضع مقدمة له ، وطبعه على حساب الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، لعله ينتشر لعدم قدرة ابنه على ذلك .

أخبرت سماحته بهذه الرغبة في الطائف ، صيف عام ١٤١٨هـ ، وكنت أتحين فرصة أقتنصها لكي أقرأ فيها ما تيسر على سماحته - رحمه الله - ، فكان ذلك في يوم جمعة ، كان سماحته ذاهباً فيها إلى «عشيرة» بلدة تبعد عن الطائف بحوالي ٧٠ كم .. لإلقاء محاضرة في الجامع بعد صلاة الجمعة .

فقرأت على سماحته في السيارة ما بين الطائف إلى عشيرة ، من هذا الكتاب ما يزيد على ٨٠ صفحة فأعجب رحمه الله بهذا الكتاب ، وبسعة علم المؤلف ، وقال: ما كنت أظنه بهذا العلم والاستيعاب العلمي : فقهاً وعقيدة .. وترحّم عليه ، وأثنى على مكانته وسمعته ، وما ظهر له من علمه .

وقال : كانت معرفتي به قبل هذا : رجل سياسة - باعتباره سفيراً للملك عبد العزيز في مصر - وتاجراً - ؛ لأنه من رجال عقيل القدامى - ، والآن ازددت معرفة بعلمه وسعة اطّلاعه ، واستيعابه لأقوال العلماء ، وأنه طالب علم جيّد .

ولما كررت على سماحته ، الرغبة في استكمال الكتاب قراءة ، أو وضع مقدمة له .. أمرني بإحالته إلى فضيلة الشيخ الدكتور : صالح بن فوزان الفوزان ؛ لقراءته

ووضع مقدمة له ؛ لأن مشاغل سماحته الكثيرة تحول دون استكماله .. فاستجاب الشيخ جزاه الله خيراً ، وأكمل ذلك : قراءة ومقدمة ، واقترح أن تكون ترجمته في السيرة الذاتية ، ما أورده الشيخ عبدالله البسام كاملة ، من مصدرها وأعاده لسماحته للأمر بما يراه .

جاءني هذا الكتاب ، بإحالة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ، وختم سماحته بأن أعيد الكتاب لابن المؤلف ، لطباعته وبمقدمة ومرثيات الشيخ صالح .. وما ذلك إلاّ أن سماحته - رحمه الله - قد أحسّ بالمرض ، وبدأ عليه التّعب .

لّما بلغ الأمر ابنه أبقى الكتاب لدى الأخ الكريم : محمد بن علي الخضير مدير عام وكالة الأنباء السعودية ، بحكم بدايته للأمر . ورابطتهما العمليّة مدة طويلة ، وذهب الابن محمد بن فوزان إلى مصر ، ليستكمل تصفية وبيع بيت والده . بعد أن توفيت والدته ، وشراء الحكومة المصرية لهذا البيت ..

لكن جرى تفريط في شيئ مهم - لم ينتبه إليه - حيث حدثني أحد الإخوة ، أن كثيراً من أوراق الشيخ فوزان ، ومراسلات متعددة منه وإليه ، قد تخلص منها المستلمون لهذا البيت ، برميها في صناديق النفايات ، فكانت ثروة لا تقدّر قد ضاعت ، والمثل عندنا يقول : «الذي ما يعرف للصقر يشويه» . وقد اقتضت إرادة الله سبحانه : أن يتوفى الأستاذ محمد بن فوزان في إجازة عيد الفطر من عام ١٤٢٠هـ في مصر ، بسبب انفلونزا حادّة - رحمه الله - ابن الشيخ فوزان الوحيد .

بعد ذلك حصل اجتماع بيني وبين الأستاذ محمد الخضير ، ووكيل الورثة الأستاذ ماجد الرشيد ، لتدارس إحياء فكرة حرّكها ابن الشيخ فوزان ، وقطعت مرحلة كبيرة ، ويجب استكمالها ، وعهدوا إليّ بذلك تفويضاً ومتابعة ، فتمّ إعداد صيغة لهذا الاتفاق ، باتّفاق ثلاثي .

عرضت الفكرة على أحد المحسنين ، فتبرع مشكوراً بطبعه على نفقته ، ولم يرغب ذكر اسمه ؛ لأنه يريد الأجر من الله سبحانه ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

حرصت على تصحيحه ، وفهرسته وإعادة صفّه وطبعه من جديد ، مع تعليقات قليلة ، وإضافة ما سقط في الطبعة الأولى من بعض النصوص ، التي استدلّ بها الشيخ فوزان ، بعد المطابقة من المصادر التي رجع إليها ونقل منها .

وقد وزّع مجاناً على المشايخ وبعض طلبة العلم ، والجامعات والمكتبات ، وخصصّت نسبة للبيع كما هي رغبة الورثة ، حتى يجعل الريع في مشروع خيريّ يعود على المؤلف بالنفع والأجر جعله الله من العلم النافع والعمل الصالح . وقد سمّيته بعد التشاور مع طلاب علم : الطبعة الثالثة .

علمه ومكانته :

ذكرت أن من اهتمامي بالشيخ فوزان ، أن اهتديت إلى مسكنه – رحمه الله – والتقيت من رجال الدولة ، ومن كبار السنّ من عقيل ، بمن زودني ببعض أخباره ، التي سأوردها في هذا البحث ، مقارناً بينها وبين ما كتب عنه ، وما أغفل في الرصد عنه .

كما تولّد عن اهتمامي عندما كنت طالباً في القاهرة ، البحث عن القصر الذي حُدِّدَت فيه إقامة الإمام فيصل بن تركي ... ١٢٨٢هـ[1] . فأخبرني رجال مسنون في مصر ، علاوة على غيرهم ممن كان في مصر من نجد ، ممن قدم مع رجال العقيلات ، أنه في حي الحلميّة ، بين السيدة زينب ، والدّرب الأحمر ، في بيت كبير ، تلك الأيام ، تحتله المدرسة الرشيدية الثانوية .. لكن بعد أن وقفت عليه،

(١) يراجع ما ذكره ابن بشر عنه ، **في عنوان المجد** ٢ : ١٧٢ .

لم يتضح لي ما إذا كان قد جدّد بناؤه ، أم هي حالته الأساسية ؟ ولم يكن ارتفاعه كما ذكر ابن بشر بأنه أكثر من سبعين ذراعاً ، بل هو أقل من ذلك .

يقول الزّركلي عن الشيخ فوزان هو : فوزان بن سابق بن فوزان آل عثمان البريدي - نسبة إلى بريدة - القصيمي النجديّ . معمّر من فضلاء الحنابلة . له مشاركات في السياسة العربية . ولد ونشأ في بريدة من القصيم بنجد ، وتفقّه[1] .

والشيخ عبد الله بن بسام ، في كتابه : علماء نجد خلال ثمانية قرون : يرى أنه من الدواسر الودّاعيّة ، كانت أسرته تقيم في الشّماس ، ثم انتقلت إلى الشماسية إحدى قرى مدينة بريدة ، فانتقلت منها إلى بريدة ، وفيها ولد الشيخ فوزان ، ونشأ وتعلّم في كتّابها مبادئ القراءة والكتابة ، ثم رغب في العلم ، فشرع في القراءة على علماء بلده ، وأشهر مشايخه : الشيخ : سليمان بن مقبل ، والشيخ محمد بن عمر آل سليم ، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم .

ثم سافر إلى الرياض فقرأ على العلامة : عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ حتى أدرك . ثم سافر هو والشيخ علي بن وادي - أحد علماء عنيزة - إلى الهند ، للقراءة على العلامة الشيخ : صديق حسن خان ، فألفياه قد انشغل عن الإقراء بحكم بلاده «بهوبال» ، فأخذا في القراءة على محدث الهند الشيخ : نزير حسين ، واستفادا منه ، ثم عادا إلى القصيم .

ثم قال : كان الشيخ فوزان السابق من العلماء الأفاضل ، ولقد كان رحمه الله مع طلبه العلم يشتغل بتجارة الخيل والمواشي .. وهو الذي قام بعمل فهرس منظّم ومصاغ صياغة فقهيّة مفيدة ، لقواعد ابن رجب ، ثم طبعه على حسابه[2] .

---

(١) **الأعلام** ٠- ط ٣ ٠- ج ٥ : ٣٦٩ .

(٢) انظر ج ٥ : ٣٧٨ .

وفي نهاية كتابه البيان والإشهار ، يقول رئيس أنصار السنة المحمدية الشيخ حامد الفقي ، الذي طبع وأشرف على إخراج هذا الكتاب : تمّ طبعُ كتاب : «البيان والإشهار ، تأليف : سعادة الرجل الصالح ، الشيخ فوزان السابق ، الذي كان له أكبر فضل بعد الله ، في نشر مذهب السلف في مصر ، وأعظم الفضل على السلفيين ، بما ندعو الله معه ، أن يجزيه عنه خير الجزاء ، في مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ، في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٧٢هـ ، من هجرة صفوة الخلق ، وخاتم المرسلين ، وإمام المهتدين ، عبدالله ورسوله : محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، الطبعة الأولى ، اللهم أحينا على سنته، وأمتنا على سنته ، واحشرنا يوم القيامة في زمرته ، وتحت لوائه ، وأوردنا حوضه ، واجعلنا من أهل شفاعته ، إنك يارب أرحم الراحمين[(١)] .

وإن من مكانته العلمية : تقديره للعلماء واهتمامه بالكتب : -

فمن تقديره للعلماء ومجالستهم : ذكر الزركلي أنه عندما كان في الشام كان على صلة برجالات الشام ، قبل الدستور العثماني كالشيخ طاهر الجزائري ، وعبدالرزاق البيطار ، وجمال الدين القاسمي ، ثم محمد كرد علي ، وهو الذي ساعد الآخير على فراره الأول من دمشق ، وقد أراد أحد الولاة القبض عليه ، فأخفاه فوزان ونجا به إلى مصر[(٢)] .

وكل هؤلاء ممن يشار إليهم في الشام بالمكانة العلمية ، بل إن ابن بسام قال : واتصل برجال العلم في الشام وقرأ عليهم[(٣)] ، وبعد أن انتقل إلى مصر ، كان على

(١) **البيان والإشهار** -- ط ٣ -- ص ٣٨٥ .

(٢) **الأعلام للزركلي** -- ط٣ -- ج٥ : ٣٦٩ .

(٣) **علماء نجد خلال ثمانية قرون** ج٥ : ٣٧٩ .. وذكر أسماء العلماء الذين أوردهم الزركلي .

صلة بالعلماء السَّلفيين ، مثل محبّ الدين الخطيب ، ومحمد رشيد رضا ، صاحب المنار ، وغيرهما من العلماء ...

وعندما بدأ الملك عبد العزيز ، وسمو ولي العهد سعود - رحمهما الله - ، يرسلان العلماء إلى مصر ، للعلاج ، والطلاب للدراسة ، كان بيته مقصداً لهم ، يأنسون بقربه والتحدث معه علمياً ، واهتماماً بالكتب والبحث والمناقشة .. حيث عرف عنه أن مكتبته في القاهرة ، زاخرة بالكتب العلمية ، ومنها النادر . علاوة على ما اقتنى من كتب في بلده بريدة أو في دمشق .

يقول الشيخ عبد الله بن بسام : وله مكتبة من أكبر المكتبات في بريدة ، فقد طلب منه العلامة الشيخ عمر بن سليم أن يضعها في جامع بريدة ، فوافق على ذلك، وقد وُضِعت هي ومكتبة الشيخ عيسى بن رميح في مبنى أعده الشيخ عمر بن سليم في شرق جامع بريدة ، وكلف الشيخ عمر رحمه الله ، الشيخ علي العبد العزيز العجاجي ، بالإشراف على المكتبة ، وهي أول مكتبة أسست في بريدة ،وهي الأساس للمكتبة السعودية القائمة الآن ، التي طوّرها فيما بعد الشيخ عبدالله بن حميد .

ثم ضمّت للمعارف بعد سفر الشيخ عبدالله بن حميد من بريدة ، وكان الشيخ عمر بن سليم ، - رحمه الله - قد قرّر تطويرها ، وأن يضع فيها كتب طلبة العلم ، الذين يتوفّون فيما بعد ، وأن يزودها بما يطبع من كتب العلم ، وما يحصل عليه من المخطوطات النادرة .

وبالجملة فهو من رجال الدين والدنيا ، كما هو الشأن في المسلم ، فرحمه الله تعالى[1] .

ويكفيه مكانة علمية شهادة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - عندما

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ج ٥ : ص ٣٨٣ .

قرأت عليه ما يزيد على ٨٥ صفحة من كتابه البيان والإشهار ، لكشف زيغ الملحد الحاج مختار ، فقد أثنى عليه وترحّم عليه ، وأعجبه مستواه وردّه العلمي والعقديّ ، والعلماء أمثال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - مفتي عام المملكة العربية السعودية ، ورئيس هيئة كبار العلماء ، لا يزكوّن علمياً إلا من بانت لهم مكانته ، ونظرته العلمية .. وكما يقال : من ألّف فقد استهدف .

لذا كان كتابه هذا ، موضع اهتمام العلماء منذ صدر في عام ١٣٧٢هـ . يقول الشيخ ابن بسام عن هذا الكتاب : فقرأت فيه وتصفحته ، فوجدّته رداً وافياً في موضوعه ، كافياً في بابه ، وقد ردّ على شبهات عظيمة ، بالبراهين السّاطعة ، من الكتاب والسنة ، وكلام أئمة الإسلام فرحمه الله[1] .

وعندي أن هذا الرَّجل ، لو لم تشغله التّجارة والسياسة ، طوال عمره المديد ، لبرزت مكانته العلمية ، بدليل ما أشار إليه خير الدين الزركلي بقوله عنه : وكان من التّقى والصدق ، والدعة وحسن التبصّر في الأمور ، والتفهم لها على جانب عظيم ، ومع أنه ضعف سمعه في أعوامه الأخيرة ، إلاّ أنه ظل محتفظاً بنشاطه الجسميّ ، وقوة ذاكرته ، ودقّة ملاحظته إلى أن توفي وقد قارب المائة .

وكان الملك عبد العزيز، يرى وجوده في العمل، وقد طعن في السنّ إنما هو للبركة.. وكان يطلب من الملك عبد العزيز الاستقالة ويرفض لذلك السبب، وبعد أن قبلت استقالته، رأى أن ينقطع للعبادة، وإكمال كتاب شرع في تأليفه أيام كان في دمشق[2] .

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ج٥ :٣٨٠ .

(٢) الصحيح أنه لم يبدأ التأليف إلاّ بعدما تقاعد في السنوات الأخيرة ؛ لأنه تناظر معهم في سنة ١٣٢٩هـ كما قال : وناظرهم في مباحث عديدة .. إلخ ما ذكر في المقدمة ، إلى أن قال ثم إني توجهت إلى مصر وأقمت فيها وفي سنة ١٣٣١هـ تلقيت كتاباً من الشام ومعه رسالة ، ولما فتحت الكتاب وجدته من بعض الذين اجتمعت بهم في الشام ، ومعها رسالة ألّفها الحاج مختار إلى آخر ما ذكره ص ١٤ - ١٥ مقدمة الكتاب .

وقال لي بعد قبول استقالته : كنت بالأمس وزيراً ، وأنا اليوم بعد التحرر من قيود الوظيفة ، سلطان [1].

وقد أخذ له الزركلي صورة ، وهو منهمك على مكتبه يكتب ، بعد أن كبر سنّه.

أما قول ابن بسام : أما ردّ الشيخ فوزان فسمّاه : البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد مختار ، وقد طبع بعد وفاته في مجلد ، وقد أعيدت طباعته عام ١٤١٣هـ ، فإن الصحيح أنه طبع قبل وفاته في عام ١٣٧٢هـ، وقد كانت وفاته في عام ١٣٧٣هـ، كما نوّهت عن ذلك نقلاً عن مطبعة أنصار السنة المحمدية ، التي فيها طبع ، وبينّوا هذا في آخر الكتاب ، بالعبارة التي نقلتها في هذا البحث ، والشيخ ابن بسام أثبت وفاته في عام ١٣٧٣هـ ، ولو عاد إلى نسخة من ذلك الكتاب بأي طبعة لوجد عام ١٣٧٢هـ، هو تاريخ الطبع وقوله : إنه أعيدت طباعته عام ١٤١٣هـ ، فالصحيح كما أخبرني ابنه محمد - رحمه الله - قبل وفاته أن ذلك في عام ١٤١٨هـ ١٩٩٧م ، وأنه بالتّصوير وليس بإعادة الطبع ، وهذا ما أهمّه بأن يعاد الطبع ، ويصف من جديد ، ويتابع ويصحّح ، وزودني بنسخة من ذلك ، هي التي بنينا عليها الطبعة الجديدة ، التي تولّتها دار الغرب الإسلامي في بيروت عام ١٤٢٢هـ ، وعلى نفقة أحد المحسنين أعظم الله أجره .

وإن من يقرأ هذا الكتاب ، ويتابع استدلالات الشيخ فوزان فيه ، والمصادر التي رجع لها ، ونقل عنها ، ليدرك سعة علمه ، وإدراكه واطّلاعه ، فهو من العلماء ذوي المكانة والحفظ .

حكاية الماء والزيت :

قال خير الدين الزركلي في كتابه شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، تحت عنوان : يريد الماء ويأتي البترول : كان الثّريّ الأمريكي المستر «كراين» المعروف

(١) الأعلام ٠- ط ٣ ٠- ج ٥ ص ٣٦٩ .

برئاسته لبعثة الرئيس «ولسن» في سورية وفلسطين ، عقب الحرب العامّة الأولى ، قد زار اليمن ، وعاد بعد رحلته إليها يقول : إن سكان بلاد العرب ، أقرب الناس إلى الله ، لإيمانهم بأن رزقهم في السماء ، ومنها يهبط الماء ، فهم يكثرون التّطلع إليها ، كلّما جفّت مراعيهم ، يسألون ربّهم الغوث .

ثم علق في الهامش على مقولته هذه بقوله : قال هذا في زيارة للمفوضية السعودية بالقاهرة ، وأمام من حدثني به ، وهو الشيخ فوزان السابق ، وأضاف أن كراين قال أيضاً : إن هذه البلاد القريبة من الله، التي خرج منها جميع الأنبياء ، قد طال عهدها بعصر النبوة ، فهي تتمخّض عن ولادة «مبعوث إلهي» جديد ، في خلال مئات قليلة من السنين الآتية . ثم استأنف القول : وأبدى المستر كراين رغبته بزيارة البلاد السعودية ، فرحّب به الملك ، وجاءه سنة ١٣٤٩هـ «١٩٣١م» ، يصحبه ويترجم له «جورج انطونيوس» ، مؤلف كتاب : يقظة العرب ، وكان الملك قد عرف انطونيوس يوم جاءه مع الجنرال كلايتون ، لعقد معاهدة «جدة» سنة ١٣٤٥هـ «١٩٢٧م» .

وفي خلال الحديث بين الملك وكراين ، سأله كراين : عما يمكنه أن يقوم به من مساعدة لبلاده ، فحدثه الملك بما تعانيه البلاد ، ولاسيما الصحراوية منها من الجفاف ، في أكثر السنين ، وود لو يحضر إليها خبير «جيولوجي» يبحث عن آبار «ارتوازية» تسقي الناس في طريق الحج ، ويستعمل أهل البادية ماءها للزراعة .

قال كراين : سأبعث إليكم بخبير ، أعتقد أنه يفيد بلادكم ، ولا تكلّف حكومتكم ، أن تنفق عليه ، أكثر من تأمين إقامته وتنقلاته .

ووصل إلى جدة ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣١م ، المهندس الجيولوجي الأمريكي «توتشل» فقال : كنت في اليمن ، ووهبت خدماتي بواسطة المستر كراين ، لمصلحة

الإمام يحيى وبلاده ، وبينما أنا منهمك في بناء الأسس لأحد الجسور ، تلقيت برقية من كراين في ٣٠ مارس ١٩٣١م ، يدعوني بها أن أتوجه إلى جدة ، في أقرب وقت ممكن ، لفحص الأراضي ، بحثاً عن الماء ، وعلى الأخص في مناطق طرق الحج . وقامت الحكومة السعودية ، بتزويده بالنفقات والمساعدين والمعدات فبدأ البحث[١] .

هذه رواية الزركلي ، وبالرجوع لجريدة أم القرى ، الجريدة الرسمية للدولة السعودية ، التي أخبارها موثّقة ورسمية ، نجد :-

أ - المستر كراين قد جاء ذكره ست مرات :-

١ - في العدد ١٠٧ السنة الثالثة وتاريخ ١٣٤٥/٦/٢٥هـ الموافق ١٩٢٦/١٢/٢م، وفيه خبر المستشرق كراين يصل جدة قادماً من مصر .

٢ - وفي العدد ١١٠ السنة الثالثة وتاريخ ١٣٤٥/٧/١٧هـ الموافق ١٩٢٧/١/٢١م وفيه خبر : الأمريكي السيد كراين يغادر الحجاز ، بعد لقائه بالأمير فيصل بن عبد العزيز ، النائب العام في الحجاز، ويرسل برقية ودّيه للملك عبد العزيز ، وفي الخبر ردّ الملك على البرقية. السيد كراين يتوجه من الحجاز إلى الحديدة.

٣ - في العدد ١١٨ السنة الثالثة وتاريخ ١٣٤٥/٩/١٥هـ الموافق ١٩٢٧/٣/١٨م وفيه مقال : العالم الأمريكي السيد كراين يلقي محاضرة ، قارن فيها بين نجد واليمن ، وأشاد بجهود الملك عبد العزيز في توحيد بلاده .

٤ - في العدد ١٢٠ السنة الثالثة وتاريخ ١٣٤٥/٩/٢٩هـ الموافق ١٩٢٧/٤/١م ص ٢ مقال : ردّ على ما جاء في محاضرة المستشرق الأمريكي كراين في مصر ، قال فيها : إن لدى الملك عبد العزيز رهائن من القبائل .. أم القرى تكذّب هذا الكلام .

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ج٢ : ٦٩٤ - ٦٩٥ .

٥ - في العدد ٢١٩ السنة الخامسة وتاريخ ١٣٤٧/٩/٢٧هـ الموافق ١٩٢٩/٣/٨م حادث الاعتداء على المستر كراين ، ونصيب من في العراق من المسئولية .. مقال : يبين أسباب الاعتداء على كراين ، ومن هم المسئولون ، وبيان اهتمام الملك في إخماد ما بين العراق ونجد ص ١ .

٦ - في العدد ٢٢٠ السنة الخامسة : إرسال الحكومة خطاباً إلى السيد كراين، تبلغه فيه أسف جلالة الملك على وقوع الحادث ، وتؤكد أنه لم يكن لرعايا الحكومة دخل ولا علاقة في هذا الحادث ص ٢ [1] .

ب - المستر توتشل قد جاء ذكره ثلاث عشرة مرّة : -

١ - في العدد ٣٢٥ السنة السابعة وتاريخ ١٣٤٩/١٢/٢٧هـ الموافق ١٩٣١/٥/١٥م ص٢ تقرير أعده السيد توتشل المهندس الأمريكي الاختصاصي عن المياه في منطقة الحجاز .

٢ - في العدد ٣٢٧ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/١/١١هـ الموافق ١٩٣١/٥/٢٩م ص١ مقال : التقرير الذي رفعه توتشل المستر الأمريكي الاختصاصي بالمياه والمعادن للملك عبد العزيز ، في نتائج زيارته للمنطقة الواقعة بين وادي فاطمة، وضواحي جدة الساحلية فيما يتعلق بالمياه .

٣ - في العدد ٣٢٩ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/١/٢٥هـ الموافق ١٩٣١/٦/١٣م ص٣: تقرير أعده المستر توتشل المهندس الأمريكي الاختصاصي عن المياه في الحجاز ، والآبار المعروفة في هذه المنطقة .

٤ - وفي العدد ٣٤٤ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/٣/١هـ الموافق ١٩٣١/٧/١٧م ص١ التقرير الثاني لتوتشل المهندس الأمريكي الاختصاصي في المياه والمعادن ، تحدث فيه عن إمكانية وجود المياه بمناطق الساحل الحجازي .

(١) تراجع هذه الأعداد من أم القرى لمزيد الفائدة .

٥ - وفي العدد ٣٤٤ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/٣/١هـ الموافق ١٩٣١/٧/١٧م ص ٢ خبر عن وصول : السيد توتشل المهندس الأمريكي الاختصاصي في المياه والمعادن إلى جدة .

٦ - وفي العدد ٣٤٥ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/٣/٨هـ الموافق ١٩٣١/٧/٢٤م ص١ التقرير الثاني للسيد توتشل المهندس الأمريكي الاختصاصي حول المعادن المياه.

٧ - وفي العدد ٣٤٦ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/٣/١٥هـ الموافق ١٩٣١/٧/٣١م ص١ التقرير الثاني للسيد توتشل الأمريكي الاختصاصي حول المعادن واحتمالات وجودها في ساحل الحجاز

٨ - وفي العدد ٣٤٧ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/٣/٢٢هـ الموافق ١٩٣١/٨/٧م ص١ التقرير الثاني للسيد توتشل الأمريكي الاختصاصي في شئون المياه والمعادن .. ولعل هذا التقرير وزع على ثلاث حلقات .

٩ - وفي العدد ٣٤٦ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/٣/١٥هـ الموافق ١٩٣١/٧/٣١م ص٢ : خبر: تم الاتفاق بين الشيخ عبد الله الحمدان، والمستر توتشل المهندس الأمريكي، على أن يتولى رئاسة الهيئة الفنيّة، التي تقوم بأعمال البحث والتنقيب.

١٠ - وفي العدد ٣٤٨ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/٣/٢٩هـ الموافق ١٩٣١/٨/١٤م ص ١ نص التقرير الثاني لتوتشل المهندس الأمريكي عن المعادن .

١١ - وفي العدد ٣٥٠ السنة السابعة وتاريخ ١٣٥٠/٤/١٤هـ الموافق ١٩٣١/٨/٢٨م ص ١ تابع التقرير الثاني للمستر توتشل المهندس الأمريكي الاختصاصي عن المياه والمعادن في منطقة الحجاز .

١٢ - وفي العدد ٣٥٥ السنة الثامنة وتاريخ ١٣٥٠/٥/١٩هـ الموافق ١٩٣١/١٠/٢م ص١: مقال أشار إلى الثروات المعدنية التي حبا الله بها الجزيرة العربية ، وكذلك التقرير الذي قدمه المستر توتشل المهندس الأمريكي الاختصاصي .

١٣ - وفي العدد ٣٥٨ السنة الثامنة وتاريخ ١١/٦/١٣٥٠هـ الموافق ٢٣/١٠/١٩٣١م ص ٢ خبر عن : وصول السيد توتشل إلى جدة يوم الإثنين الماضي ، قادماً من نيويورك ، ومعه معاونه لمساعدته في أعمال المناجم[١] .

ويقول الزركلي في هذا الصدد عن توتشل في كتابه : قطعت حوالي ١٥٠٠ ميل في الحجاز ، والكلام لتوتشل : ولم أجد ما يبعث على الأمل في تدفق آبار ارتوازية ، فقدّمْتُ تقريراً لا يبشر بالخير عن وجود المياه ..

ثم يقول الزركلي : ولكنه لاحظ مستنقعات زيتيّة جافة ، قديمة العهد ، في نواحي ضبا ، والمويلح وأم القريات قرب الوجه ، وكلها في الشمال الغربي من الساحل الغربيّ للبلاد السعودية .

كان الملك يريد الماء ، وقد يئس توتشل من وجود الينابيع الكافية منه في أراضي الحجاز ، وتحول جهده إلى مقاطعة الأحساء في شرق المملكة .. لعل هناك موارد مائية في جوف الرمال ، أو آبار نفطية على شاطئ الخليج . وكان البحث عن النّفط جارياً في البحرين ، وتربتها الجيولوجية كتربة الأحساء ، فلم ير الملك عبد العزيز بأساً في استقدام جيولوجيين للنّفط ، وحافرين للآبار ليبحثوا كما يبحث زملاؤهم في البحرين .. إلى آخر ما ذكر[٢] .

أوردت هذه الأشياء ، لكي يقارن القارئ بينها ، وبين ما عرفته مشافهة من بعض المسئولين الأوائل في الدولة .. ومن بعض العارفين بالشيخ فوزان السابق ، الذي أغفل دوره في هذا الأمر .

تقول تلك الرواية التي حفظتها وقارنتها ، بين مصادر عديدة شفوية : إن

---

(١) لراغب الفائدة والتفاصيل مراجعة هذه الأعداد من جريدة أم القرى .

(٢) **شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ج٢ : ٦٩٥ .**

المستر كراين ، كان من أثرياء أمريكا ، وكان من عشاق الخيول العربية ، وهواة جمعها ، ولما استقرّت الدولة بعدما انضمّ الحجاز ، لكيان الدولة بقيادة الملك عبد العزيز ، وبدأت دول العالم تعترف بحكومة الملك عبد العزيز الفتيّة ، كتب كراين إليه، يستأذنه في المجيء للبلاد ، لشراء خيول عربية أصيلة ، فأخبره الملك عبدالعزيز ، بأن عليه أن يتصل بمندوبه في مصر الشيخ : فوزان السابق ، الذي أبلغه الملك عبد العزيز بما يجب .

ذهب إلى القاهرة مع مترجمه ، وقابلا مندوب الملك عبد العزيز في القاهرة ، الشيخ فوزان السابق ، فرحّب بهما ، وقال : أبلغني الملك بأن أسّهل ما تطلبان .. وأكرمهما .

وقال الشيخ فوزان للمستر كراين ، هل لديك خبرة بالخيول ، لتختار ما تشاء، قال نعم ، فأرسل معه إلى إسطبل الخيول ، في موضع خارج القاهرة ، أحد ساسة الخيل ، وبعد أن عاد الجميع بعد ظهر ذلك اليوم لتناول الطعام عند الشيخ فوزان .. سأل الشيخ فوزان سايس الخيل عنده : كيف كان اختياره ؟ قال : لا يعرف ، لقد اختار مهرتين ، والواجب أن يختار مهرة وحصاناً ، حتى يتم التزاوج والتوالد ، ومن الأصايل .

وبعد تناول الطعام ، قال الشيخ فوزان للمستر كراين عما أشار إليه السايس[1]، وأن من المناسب أن نختار لك الأجود ، حسب أمر الملك عبد العزيز . وإلى أين تريدنا نوصّل الخيول إليه .

فشكره كراين ، وقال إلى ميناء الإسكندرية لترحيلها إلى أميركا ، ولكن أخبرني عن القيمة .

---

(١) سايس الخيل : هو الخبير بها والمروّض ، وكانوا ذلك الوقت كلهم من نجد .

قال فوزان : بعد وصولها الإسكندرية سأخبرك .

عاد إليه المستر كراين بعدما رحّلت إلى أمريكا ، ليعطيه الثمن ، ولكنه فوجئ بقول الشيخ فوزان : نحن العرب من العيب عندنا بيع الخيول الأصايل ، ولكننا نهديها ، فهى لك هدية من الملك عبدالعزيز . زاد إعجاب كراين بالعرب ، أكثر من اعجابه ومحبته بالخيول العربية .

وبعدما رجع إلى أمريكا ، تحدث مع أصدقائه بما حصل ، وأبدى رغبته بتقديم هدية تتناسب مع مقام الملك عبد العزيز ، فأشير إليه : بأن أجمل وأجود هدية للمناطق الصحراوية كبلاد العرب ، هي الماء الذي هم في أمس الحاجة إليه . فقرر أن يعمل شيئاً في هذا السبيل ، وأرسل مندوباً إلى فوزان السابق ، ومعه قائمة بالمهندسين الخبراء في علم الجيولوجيا ، وعددهم يقرب من العشرين .

وعلى الطريقة الدبلوماسية ، أشعر مندوبه ، بإبلاغ الشيخ فوزان باختيار ثلاثة منهم حتى نرسلهم لكم .. ولما كان لا يجيد اللغة الإنجليزية ، فقد وضع إصبعه على واحد منهم ، وقال : نختار هذا .. فكان أمثلهم وأقدرهم ، وهو المستر توتشل ..

أبلغ الشيخ فوزان الملك عبد العزيز بالأمر ، فسّر من ذلك ، وكان أول ما كان يؤرقه مطالبة أهالي جدة ، منذ دخلها بالماء ، وما كانوا يعانونه ، حيث وجّه منذ البداية بشراء كنداسة كبيرة لهم ، لتقطير ماء البحر .. فرآها الملك عبد العزيز فرصة ، لتكون البداية في التنقيب عن المياه في ساحل البحر ، وفي جدة بالذات .

ولما كانت تقارير توتشل ، بعدما عمده كراين بالعمل في المملكة ، حسب رغبة الملك عبد العزيز ، لا تشجّع على حصول الماء في الحجاز ، كما نوّه عن ذلك الزركلي، فقد تولّدت عن ذلك فكرة المناجم ومنها مهد الذهب قرب المدينة المنورة وظلم وغيرها .. ثم تحول الأمر إلى الاتفاق مع شركة : ستاندارد أويل أف كليفورنيا

الأمريكية ، حيث تم توقيع عقد مع المستر ل . ن . هاملتون بالنيابة عن هذه الشركة الأمريكية ، ومثّل المملكة وزير المالية ، وكان توقيع الاتفاق في جدة يوم ٤/صفر عام ١٣٥٢هـ الموافق لعام ١٩٣٣م[١] .

ولعل القارئ الذي يترجّح عنده دور الشيخ فوزان ، وهُمِّش فيما وقع عليه نظري ، يجد ما يؤيده ليرصد له ، كما بان من أعمال رجال حول الملك عبد العزيز ، في إخلاصهم ومحبتهم له ، وحرصهم على محض النّصح والوفاء .. وأدرك لهم الملك عبد العزيز هذه المكانة - رحمهم الله جميعاً - وقد أورد فهد المبارك في كتابه: من شيم الملك عبد العزيز نماذج من ذلك[٢] .

فوزان يرزق ولداً على كبر : -

يتناقل الناس ، تهنئة الملك عبدالعزيز ، لفوزان السابق ، بعد أن رزقه الله الابن الوحيد : محمد على هذه الصفة : أبرق له الملك عبد العزيز بعدما بلغه الخبر: القاهرة نجديّة : فوزان السابق ، بلغنا أنه جاءكم ولد ، سبحان محيي العظام وهي رميم .. وكان أيامها قد قارب التّسعين من عمره .

أما خير الدين الزركلي فيروي ذلك بهذه الصيغة : ورزق بابن ، وهو في نحو الثمانين ، فأبرق إليه الملك عبد العزيز بالجفّر «الشفرة» : سبحان من يحيي العظام وهي رميم[٣] . وقد نقل عنه الشيخ ابن بسام ، فقال : قال الأستاذ خير الدين الزركلي : صحبته اثني عشر عاماً ، وهو قائم بأعمال المفوضية بمصر ، وأنا مستشار لها ، وكان الملك عبد العزيز يرى وجوده في العمل ، وقد طعن في السنّ

(١) تراجع الاتفاقية بموادها في تقارير شركة أرامكو ، وكتاب : **شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز** ج٢ : ٦٩٦ - ٧٠١ .

(٢) يراجع نماذج من ذلك في هذا الكتاب وكيف يختار الرجال .

(٣) **الأعلام** - ط٣ - ج ٥ : ٣٦٩ .

إنما هو للبركة ، ورزق بابن ، وهو في نحو الثمانين ، فأبرق إليه الملك عبد العزيز : سبحان من يحيي العظام وهي رميم ، وجعله وزيراً مفوضاً نحو ثلاثين سنة[1] .

أما الرواية التي أرجّحها وأميل إليها ، وتنسجم مع علم وديانة الشيخ فوزان - رحمه الله - فهي : أن الملك عبد العزيز منذ قام بتوحيد البلاد ، والقضاء على النزعات ، كان يرسل من يحتاج العلاج إلى البحرين ، ثم إلى الهند ، ثم بعد أن توحّدت المملكة ، وأخذت اسماً ثابتاً إلى الآن ، واعترفت بها الدول العربية وغيرها.. صار يرسل إلى مصر من يحتاج إلى علاج .

وقد بعث الملك عبدالعزيز - في الستينات من القرن الماضي - رحمه الله ، بعض الوجهاء من العلماء وغيرهم ، إلى مصر للعلاج ، وكان يوصي بهم ، هو أو وليّ العهد أو النائب في مكة ، إلى فوزان السابق بوصفه ممثلاً للملك عبد العزيز في مصر ، بالعلاج والمتابعة ..

فكان من بعض العلماء الذين ذهبوا لعلاج عينيه في مصر ، أحد فضلاء العلماء من الرياض ، فصار يأنس بالشيخ فوزان ، ويأنس به الشيخ فوزان .. وبينهما لقاءات متواصلة ، طوال مدة العلاج ، والمكث بمصر .

وكما أخبرني أحد العلماء الثقات ، عما كان يدور بين الاثنين من أحاديث شتى ، فقد قال الشيخ فوزان لذلك العالم الفاضل : بعد الشكوى إلى الله ، أبين لك ما بخاطري : فقد رزقني الله جاهاً وعلماً ومالاً ، وتزوجت عدة مرات ، وعرضت نفسي على الأطباء والمختصين ، كل هذا رجاء أن يرزقني الله ولداً .. حيث لم يقدر الله لي شيئاً ، والآن وقد قارب سني أطراف التسعين ، زاد حنيني إلى الولد ، وخاصة عندما أمر بآيات كريمات من كتاب الله ، تبين حنين نبي الله زكريا للولد :

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ج٥ : ٣٧٩ .

«رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين»[1] ، وكذا إبراهيم عليه السلام . وشعر منه المستمع الحنان إلى الولد ، لكي يحيي اسمه ، ويناله برّه بعد وفاته .. فطمأنه المتحدث قائلاً : ياشيخ فوزان ، أنت طالب علم ، وتقرأ كتاب الله ، وتعرف ما منَّ الله به على إبراهيم وزكريا من الولد على كبر ، وفي حياة الناس وقائع كثيرة، وهذا من فضل الله على عباده .

فأجابه الشيخ فوزان : بإدراكه ذلك ، وأن الله على كل شيئ قدير ، يخلق ما يشاء ، ويفعل ما يريد ، ولا يأس من رحمة الله ، ولا قنوط من فضله ورزقه .. فأمره سبحانه بين الكاف والنون ، يقول للشيئ : كن فيكون . فرد عليه محدثه قائلاً :

ما دمت ياشيخ فوزان مدركاً هذا ، وأنك قد عرضت نفسك على الأطباء ، ولم تجد عندهم حلاً لما تعانيه ، فعليك أن تلتمس العلاج في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وأنت بحمد الله من طلبة العلم المدركين ، ومن الموحدين لله في العقيدة والعبادة .

فكيف غاب عنك هذا العلاج ؟ : فسأله متلهفاً عاوني في الوصول إلى ذلك؟.

قال : ألم يقل سبحانه في قصة نوح مع قومه : «فقلت استغفروا ربكم ، إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً»[٢] .

ياشيخ فوزان : إنها ستة جزاءات يأتي بها الله لمن لزم الاستغفار بقلب صادق، وفي أوقات الإجابة خاصة ، ومنها آخر الليل ، لمن يقوم يعبد الله والناس نيام .. ووعد الله حقّ ، يقول سبحانه في الحديث القدسي : «أنا عند ظنّ عبدي بي» فظنّ بالله خيراً تجد خيراً . هذا ما جاء في كتاب الله .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٩ .

(٢) سورة نوح ، الآيات : ١٠ - ١٢ .

وأما ما جاء عن رسول الله ﷺ : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب» .

فهذه ثلاثة جزاءات أخرى ، جاءت على لسان رسول الله ﷺ .. فالزم ياشيخ فوزان الاستغفار ، وبقلب صادق متيقن بالإجابة ، ولن يخيّب الله رجاءك ، وأبشر بالخير .

فقال الشيخ فوزان : سبحان الله كيف غاب عنّي هذا ، فلزم الاستغفار ، ممتثلاً الأمر الشرعي ؛ لأنه من الأسباب ، ومقتدياً برسل الله عليهم الصلاة والسلام.. فجاءه الولد محمد ، وهو الوحيد له ..

وفي هذا الموقف أنصح كل مسلم ومسلمة ، بحسن الثقة بالله ، والامتثال لأمر الله وأمر رسوله : عبادة ودعاء ، وثباتاً واستمراراً ، وطيب المطعم ، وطهارة المال ، حتى يكون الدعاء مستجاباً ، مع الالتجاء إلى الله سبحانه في الرخاء والشّدة .

أعماله : -

- يذكر الزركلي أعماله إجمالاً فيقول : -

- له مشاركات في السياسة العربية .

- اشتغل بتجارة الخيل والإبل ، فكان يتنقّل بين نجد والشام ومصر والعراق .

- ناصر حركة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن «مؤسس الدولة السعودية الثانية»

- لعلها الثالثة - أيام حروبه مع الترك العثمانيين في القصيم وتلك الأطراف .

- اتصل برجالات الشام ، قبل الدستور العثماني كالشيخ : طاهر الجزائري ، وعبد الرزاق البيطار ، وجمال الدين القاسمي ، ثم محمد كرد علي ، وهو الذي ساعد الأخير على فراره الأول من دمشق ، وقد أراد أحد الولاة القبض عليه .. فأخفاه فوزان ونجا به إلى مصر .

- ولما كانت الدولة السعودية ، في بدء استقرارها ؛ عين فوزان «معتمداً لها في دمشق ، ثم في القاهرة ، وصحبته اثني عشر عاماً . وهو قائم بأعمال المفوضية العربية السعودية ، بمصر ، وأنا مستشار لها .
- وكان الملك عبد العزيز ، يرى وجوده في العمل، وقد طعن في السنّ، إنمّا هو للبركة.
- واستقال لينقطع للعبادة ، وإكمال كتاب شرع فيه أيام كان بدمشق(١) .
- قال بعد قبول الاستقالة لي : كنت بالأمس وزيراً ، وأنا اليوم بعد التحرر من قيود الوظيفة سلطان .
- أخبرني أن أول رحلة له إلى مصر، كانت في السنة الثانية بعد ثورة عرابي، ومعنى هذا أنه كان تاجراً سنة ١٣٠٠هـ(٢) ، هذا مجمل ما جاء عن الزركلي عن أعماله .

أما الشيخ عبد الله بن بسام :

- فإنه بعد أن ذكر رحلته في طلب العلم بالرياض ثم الهند قال : اشتغل في تجارة الإبل والخيل ، يشتريها من نجد ثم يذهب بها إلى الشام ، وكذلك يسافر بتجارته إلى العراق ومصر .
- ثم اتصل بالملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله تعالى - ، وشارك في بعض حروبه.
- ثم صارت له مشاركات في السياسة، فعيّنه الملك عبد العزيز معتمداً له في دمشق.
- فاتصل برجال العلم هناك وقرأ عليهم ، فكان ممن أخذ عنه من مشاهير العلماء.. الشيخ طاهر الجزائري .. وذكر الباقين الذين ذكرهم الزركلي ، ولم يذكرهم من الناحية العلمية ، وأستنتج من كلامه أنهم رجال سياسة ، ولست أدري من أين أخذ الشيخ البسام أنه طلب العلم عليهم ، وقال أيضاً :.

---

(١) الصحيح أنه لم يبدأ في الرد إلا في مصر ؛ لأن الرد الذي قصده لم يصل إليه إلا في عام ١٣٣١هـ ، يعني بعد وصوله بأكثر من عامين كما قال في المقدمة .

(٢) انظر كتابه الأعلام ٠- ط٣-٠ ج ٥ : ٣٦٩ .

- ثم نقل إلى المفوضية السعودية بالقاهرة ، فلم يزل بها ، حتى طلب الإعفاء من العمل فأعفي لكبر سنه .

والصحيح حسبما وقع عليه نظري ، وما اطّلعت عليه : أنه كان في دمشق وكيلاً للملك عبد العزيز ؛ لأنه في مدة وجوده في دمشق ، لم يتمّ الاعتراف دولياً بالمملكة ، ولا بحكومة للملك عبد العزيز بعد ،ولم يكن للملك عبد العزيز مفوّضية في مصر ذلك الوقت ، بل إن الشيخ عبد الله ابن بسام قد ردّ على نفسه فيما بعد في الترجمة نفسها عندما قال : وقد هرب من الشام إلى مصر ، وقت ولاية الترك على الشام ، وهروبه مع إبل للبسّام بهيئة بدوي، كما أفاد رحمه الله بذلك لبعض أقاربنا[1] ، وهروبه من الحكومة التركية ، حينما كانت تقبض على رجال العرب الذين لهم نشاط سياسي .

- كان منزله بمصر أكثر من أربعين عاماً ، موئلاً وملجأ لأهل نجد ، ورجال العرب الذين لهم نشاط سياسي ، ولم يكن يجهل أحوال المقيمين هناك[2].

- أما قوله : إنه نقل للمفوّضية بمصر ، فإن مصر لم يكن بها مفوضية سعودية ، وإنما تمّ ذلك بعدما سقطت جدة ، ودخل الحجاز تحت الحكم السعودي في عام ١٣٤٤هـ ، باسم وكيل للملك عبد العزيز ، كما جاء في العدد ٥٦ من جريدة أم القرى تاريخ ١٣٤٤/٧/٨هـ ، حيث يبين تسلسل عمله ، في موجز ما نشرته جريدة أم القرى ، الذي خصصنا له عنواناً مستقلاً ، وهو : «تسعة أخبار موثّقة»[3] .

---

(١) لعل الأصح أنه هرب - كما ذكر في عام ١٣٢٩هـ - ، مع إبل له هو ؛ لأنه تاجر إبل ، وقبل هروبه هرب أيضاً محمد كرد علي ، عن الأتراك ؛ لأنهما اشتغلا بالسياسة ضد تركيا .

(٢) **علماء نجد خلال ثمانية قرون** ج٥ : ٣٧٩ - ٣٨١ .

(٣) انظر ذلك في هذا البحث بعنوان : **الشيخ فوزان في أم القرى** .

- أما صحيفة الفتح ، وهي صحيفة إسلامية علمية أخلاقية ، تصدر بالقاهرة ، لصاحبها : محبّ الدين الخطيب ..

فقد جاء بالعدد ٩٢ السنة الثانية ، شوال ١٣٤٦هـ ص ١٠ تحت هذا العنوان: فوزان السابق - زيارات خارجية .. خبرٌ مفاده :

عاد من الرياض إلى القاهرة ، الشيخ فوزان السابق، المعتمد السعودي في مصر.

- وفي العدد ٤٧٠ السنة العاشرة ، شعبان عام ١٣٥٤هـ ص ٢١ هذا الخبر : منحت وزارة المواصلات المصرية ، معتمد الحكومة الحجازية بالقاهرة ، تصريح مرور مجاني ، على خطوط السكك الحديدية[١] .

- ولم يعتبر الشيخ فوزان السابق ، قائماً بأعمال المفوضية العربية السعودية في مصر ، إلاّ بعدما صدر الأمر السامي بتعيينه على هذا المسمى عام ١٣٥٥هـ ، حيث نشر الأمر السامي رقم ١٢ ، بذلك وفق ما صدر بجريدة أم القرى العدد ٦١٣ السنة الثالثة عشرة وتاريخ ١٣٥٥/٦/١٧هـ .

- كان عميداً للسلك السياسي بمصر مدة تزيد على ثلاثين سنة ، وله مكانة خاصة عند الملك عبد العزيز ، فهو لا يعامله كموظف ، وإنما يعامله كشخصية لها مكانتها في المجتمع[٢] .

الشيخ فوزان في أم القرى : -

نقتطف هنا ، بعضاً مما جاء في جريدة أم القرى ، عن الشيخ فوزان ، من أخبار حسب الأولوية في تسلسل التاريخ الهجري :

١ - جاء في أم القرى العدد ٥٦ السنة الثانية وتاريخ ١٣٤٤/٧/٨هـ ص ٢ خبر عن الوكالة المصرية، بتعيين الشيخ فوزان السابق وكيلاً للملك عبد العزيز في الديار المصرية.

(١) تراجع صحيفة الفتح في العددين المذكورين .

(٢) **علماء نجد خلال ثمانية قرون** ج٥ : ٣٨٣ .

٢ –وجاء في العدد ١٧٢ السنة الرابعة وتاريخ ١٣٤٦/٩/١٠هـ ص ٣ خبر : عن عودة الشيخ فوزان السابق وكيل حكومة جلالة الملك في مصر بعد الإجازة.

٣ – وجاء في العدد ٤٧٦ السنة العاشرة وتاريخ ١٣٥٢/١٠/١٠هـ ص ٢ خبر عن : افتتاح البريد الدّوليّ العاشر في القاهرة ، وانتداب الشيخ فوزان السابق ، معتمد جلالة الملك في مصر مندوباً من قبل الحكومة ، لحضور المؤتمر .

٤ – وفي العدد ٥٨٧ السنة الثانية عشرة وتاريخ ١٣٥٤/١٢/١١هـ ص٢ جاء هذا الخبر عن : انتداب الشيخ فوزان السابق لتمثيل المملكة في مؤتمر الجراد في القاهرة.

٥ – وفي العدد ٦١٣ السنة الثالثة عشرة وتاريخ ١٣٥٥/٦/١٧هـ ص ٤ : صدر أمر سامي رقم ١٢ ، بتعيين الشيخ : فوزان السابق قائماً بأعمال المفوضية العربية السعودية لدى مصر .

٦ – وفي العدد ٦٦٩ السنة الرابعة عشرة وتاريخ ١٣٥٦/٧/٢٦هـ ص ٤ جاء هذا الخبر : عن وصول الشيخ فوزان السابق من مصر إلى جدة ، وغادرها إلى مكة وأدى العمرة، وسافر إلى الطائف للسلام على النائب العام ، وسيسافر إلى الرياض للسلام على الملك .

٧ – وفي العدد ٦٨٦ السنة الرابعة عشرة وتاريخ ١٣٥٦/١١/٢٧هـ ص ٤ جاء خبر عن: وصول القائم بأعمال المفوضية العربية السعودية بمصر الشيخ فوزان السابق إلى مكة، بعد أن قضى إجازته في القصيم .

٨ – وفي العدد ١٠٨٧ السنة الثانية والعشرين وتاريخ ١٣٦٥/٢/١هـ ص ٢ : صدور الأمر السامي بترفيع درجة الشيخ : فوزان السابق ، القائم بأعمال مفوضية المملكة العربية السعودية ، في مصر ، إلى مندوب فوق العادة ، ووزير مفوّض لحكومة جلالته في مصر .

٩ - وفي العدد ١١٣٧ السنة الثانية والعشرين وتاريخ ١٣٦٦/١/١٩هـ ص٢ جاء خبر عن : قبول استقالة، الشيخ فوزان السابق، الوزير المفوّض ، والمندوب فوق العادة بمصر، نظراً لظروفه الصحيّة وتعيين الشيخ عبد الله الفضل ، القنصل العام في مصر، في منصب الشيخ فوزان، وترفيع الأستاذ: خير الدين بك الزركلي، مستشار مفوضية جلالة الملك بمصر ، إلى درجة قائم بالأعمال من الدرجة الأولى فيها[(١)] .

من صفاته : -

عرف الشيخ فوزان ، مع علمه وتواضعه ، بخصال حميدة كثيرة ، هي حلية المؤمن ، وسمة من سمات أهل الإسلام الذين يتحلون بما يأمرهم به دينهم ، في مصدريه الكريمين : كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، وما جبل عليه رسول الله من خلق كريم ، حيث مدحه ربه بذلك ، في سورة القلم .. ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت : كان خلقه القرآن .

وهكذا أهل العلم والإيمان ، يترسمون خطى رسول الله ﷺ ، ويقتدون بصحابته الكرام الذين تأسّوا به ، حيث عاشروه عن قرب ، وأخذوا عنه : قولاً وعملاً وقدوة صالحة .. ومن أبرز الصفات التي عرفت عن الشيخ فوزان السابق :

١ - حبه للدعوة إلى الله على بصيرة ، وتنقية الأعمال مما يعكر صفو الإخلاص لله وحده ، في جميع الأعمال ، حيث شهد له بذلك أنصار السنة المحمدية بمصر في ختام طبع كتابه بهذا القول : «تم طبع كتاب : البيان والإشهار ، تأليف سعادة الرجل الصالح الشيخ فوزان السابق ، الذي كان له فضل بعد الله ، في نشر مذهب السلف في مصر ، وأعظم الفضل على السّلفيين ، بما ندعو الله معه أن يجزيه عنه خير الجزاء»[(٢)] .

---

(١) لراغب التفاصيل مراجعة أعداد جريدة أم القرى الرسمية للحكومة المنوه عنها .

(٢) **البيان والإشهار** للشيخ فوزان السابق ·- ط ٣ ·- ١٤٢٢هـ ص ٣٨٥ .

٢ - والشيخ فوزان - رحمه الله - كما قال ابن بسام : هو الذي عرّف المصريين بمعتقد أهل نجد وأنهم على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وقد شرح هذا الشيخ حامد الفقي رحمه الله في ترجمة الشيخ فوزان بعد وفاته ، ذكر فيها فضائله وشيئاً من أعماله وصفاته[1].

٣ - وشيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - ، يثني عليه دائماً في دينه وخلقه ، وفي بذله في سبيل الدعوة إلى الله سبحانه ، ومنهجه في ذلك ، وفي رفقه بالمدعوّين ، ويعتبره سنداً قوياً للسلفيين في مصر ، وفي تبصير الناس بمنهج السلف الصالح ، الذي سارت عليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والأئمة من آل سعود ، وفي تكوين : جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ، ثم في السودان .. وحثّهم على الرفق والقدوة الحسنة في الدعوة .

٤ - اعتبره الزركلي من فضلاء الحنابلة ، وله مشاركة في السياسة العربية ، وتفقه ، واشتغل بتجارة الخيل والإبل .. فهو رجل دين ودنيا .. وكان من التقى والصدق والدعة ، وحسن التبصر في الأمور ، والتّفهم لها ، على جانب عظيم .. وضعف سمعه في أعوامه الأخيرة ؛ إلاّ أنه ظل محتفظاً بنشاطه الجسمي ، وقوة ذاكرته، ودقة ملاحظته إلى أن توفي[2] .

٥ - حسن الخلق ، وطيب المعاشرة مع جلسائه ، يزين ذلك كرم وسماحة نفس ، حيث حدثني عدد ممن سألتهم عنه من كبار السنّ ، بأن بابه مفتوح دائماً ، ومائدته ممدودة لكل وافد ، ويخص بالذكر الوجهاء الذين يفدون لمصر للتجارة

---

(١) **علماء نجد خلال ثمانية قرون لابن بسام ج٥ : ٣٨٢ .**

(٢) **الأعلام ٠- ط ٠٣- ج ٥ : ص ٣٦٩ للزركلي .**

أو العلاج أو غير ذلك ، حيث يتلقّاهم ، ويأنس بهم ، ويرتاحون إليه ، بحسن حديثه ، وبشاشة وجهه ، وطيب استقباله لهم ، وكأن الشاعر عناه بقوله :

ياضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

- أما الفقراء وذوو الحاجات ، فيجدون في كنفه الرّفق والرّفد ، حتى أن للنساء مكان استقبال خاصّاً ، في يوم معين من الأسبوع ، استمرت عليه زوجته بعد وفاته ، للنظر في طلباتهن ومساعدتهن ، حتى ماتت .

٦ - محبته للعلم ، وتقديره للعلماء ، حيث يجد المرء في مجلسه فائدة علمية بالنقاش أو المساءلة والبحث ، وتعريف بالكتب الجيّدة من كتب السلف الموثوقة ، في العقيدة وحقيقة التوحيد ، فكان يتابع ويناقش ، وكان له نشاط علميّ ودعويّ ، مع حماسة في تبصير الناس بحقيقة الدعوة السلفية التي تبنّاها الإمامان : محمد بن سعود ، ومحمد بن عبد الوهاب عام ١١٥٨هـ ثم سار على أثر ذلك آل سعود كابراً عن كابر .

كل ذلك بهدوء وحلم ، وعن علم ومعرفة ، فكان له مناظرات وردود في ذلك ، أعطت نتائج طيبة .

٧ - كما كان من أثر حبّه للكتب حرصه على المطالعة والاقتناء ، وقد ترك أثراً خالداً، بمكتبته التي وضعها في جامع بريدة ، بعدما طلب منه الشيخ عمر بن سليم أن يضعها في الجامع ، وقال عنها ابن بسام : بأنها من أكبر المكتبات في بريدة ، وهي أول مكتبة أسست في بريدة ، كما أنها الأساس للمكتبة السعودية القائمة الآن ، التي طوّرها فيما بعد الشيخ عبدالله بن حميد ، ثم ضمت للمعارف ، بعد سفر الشيخ ابن حميد من بريدة(١).

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٥ : ٣٨٣ .

٨ - دخل معترك السياسة في وقت مبكر ، وانضم إلى رجال الشام الثائرين على الحكم التركي ، حتى صار مطلباً لجمال باشا ، الذي أعدم مجموعة من المناوئين للأتراك ، فهرَّب زميله وصديقه : محمد كرد علي إلى مصر ، ثم لحق به عام ١٣٢٩هـ إلى مصر ، حيث استقر ، إلى آخر عمره .

وقد خوّلته هذه الخلفية السياسية ، إلى أن يكون وكيلاً للملك عبد العزيز - رحمه الله - ، منذ استولى على الرياض في ٥ شوال عام ١٣١٩هـ ، حتى غادر الشام في عام ١٣٢٩هـ ، ثم جعله الملك عبد العزيز وكيلاً له في مصر ، إلى أن اعترفت الحكومة المصرية ، بحكومة الملك عبد العزيز ، بعد ضم الحجاز إلى كيان الدولة .. حتى أصبح عميداً للسلك السياسي في مصر عدة سنوات .

٩ - قوة ذاكرته ، ودقة ملاحظته .. حيث تمتع بمميزات جسمانية مع كبر سنه ، مع الدين والورع وكثرة العبادة ، إلى جانب التّقى والصدق ، والدَّعة وحسن التبصر في الأمور والتفهم لها ، إلاّ أن سمعه ضعف في أعوامه الأخيرة . حيث انقطع للعبادة[1] .

ومع كل ما ذكره الزركلي من هذه الخصال ، فإنه لم يتعرض له في كتابه التاريخي عن الملك عبد العزيز - رحمه الله - : شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز .

١٠ - والشيخ فوزان مع مشاغله السياسية والدعوية ، فإن هذا لم يصرفه عن الاهتمام بأهل نجد ورجال العرب ، الوافدين أو المقيمين في مصر ، بل كان لهم سنداً بعد الله وموجهاً ، وأميراً يؤدب المخالف ويقضي حاجة المعوز ، ويرحل من بدر منه ما يسيء إلى نفسه، وبني جنسه. يقول الشيخ ابن بسام: وكان رحمه الله

(١) الأعلام للزركلي - ط ٣ - ج ٥ : ٣٦٩ .

من رجال الدين والدنيا ، ومن أهل الفضل ؛ فقد كان منزله بمصر أكثر من أربعين عاماً[1]، موئلاً وملجأ لأهل نجد ، ورجال العرب الذين لهم نشاط سياسيّ ، ولم يكن يجهل أحوال المقيمين هناك .

بل كان يتفقد أحوالهم ، ويساعد المحتاجين منهم ، وكان يخصّص للفقراء والمحتاجين هناك مخصّصات شهرية من ماله الخاص ، وكان إذا علم عن أحد من الرعايا السعوديين ، ما يوجب نصحه استدعاه ونصحه ، وربما أمره بمغادرة القاهرة[2] .

وفاته : -

كان خير الدين الزركلي ، في السنوات الأخيرة من حياة الشيخ فوزان السابق، من ألصق الناس به ؛ لأنه عمل معه في السفارة السعودية بالقاهرة ، حيث قال : وصحبته اثني عشر عاماً ، وهو قائم بأعمال المفوضية العربية السعودية بمصر ، وأنا مستشار لها ؛ علماً بأنه لم يعمر طويلاً بعد الاستقالة ، ولكنه حقق في هذا التفرغ ما كان يصبو إليه ، في تأليف رده على الحاج مختار وطباعة ذلك الردّ ؛ لأنه كان هاجسه منذ وصله في عام ١٣٣١هـ افتراؤه عليه .

ولذا نرى الزركلي من منطلق هذا الارتباط ، في ترجمته لحياة الشيخ فوزان - رحمه الله - ، في كتابه الأعلام : يرى أن الشيخ فوزان السابق ، توفي عام ١٣٧٣هـ ، وشكك في مقدار عمره ، وقال : إنه قارب المائة[3] وهذا العام هو العام الذي توفي فيه الملك عبد العزيز - رحمه الله - .

---

(١) مكث في مصر قرابة ٤٥ عاماً .

(٢) **علماء نجد خلال ثمانية قرون** ٥ : ٣٨٢ .

(٣) **الأعلام** للزركلي - ط٣ - ج ٥ : ٣٦٩ .

ومع أنه لم يحدد اليوم أو الشهر الذي مات فيه ، وهو يعمل معه في السفارة ، قبل تقاعده ، ويزوره بعدما تقاعد .. إلا أنه قال عنه : بأنه توفي بالقاهرة ، وهو في نحو المائة ، ويقال تجاوزها ، ومع هذا فإنه قد جعل ولادته في عام ١٢٧٥هـ ، ووضع أمامها علامة استفهام ، مما يدل على عدم إطمئنانه إلى تاريخ ولادته ، ولا إلى مقدار عمره .

أما الشيخ عبد الله البسام ، فلم يتطرق إلى عمره ، وإنما قال : بأنه توفي بالقاهرة عام ثلاثة وسبعين ، وثلاثمائة وألف رحمه الله ، وفي عنوان المقدمة بين عن تاريخ ولادته ووفاته هكذا [١٢٧٥هـ - ١٣٧٣هـ] ، ويظهر لي أنه نقل عن الزركلي في الأعلام ، جميع المعلومات عنه ، بما في ذلك تاريخ الميلاد والوفاة ، ولم يزد عما ذكر الزركلي(١) .

أما الشيخ محمد بن عثمان القاضي ، في كتابه «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد» ، فإنه لم يذكره البتّة ، ولو وقفنا على شيئ من أوراقه التي قيل : إنها في بيته بعدما بيع ، لوجدنا ما يفيدنا في هذا الجانب ، وفي أشياء توسّع سيرته الذاتية.. ولعل الأيام تكشف عن شيئ من ذلك . فحياة هذا الرجل جديرة بالدراسة والاستقصاء ، وإبراز ما خفي من جوانبها ذات الأهمية ، بوصفه عالماً وتاجراً وسياسيّاً وداعية ؛ فهو من الرعيل المخضرمين ، الذين يهتمون بجوانب المعرفة ، ولا يقتصرون على اختصاص معين ، وهذا ما يلاحظ على الرعيل الأول من علماء هذه البلاد ، ورجالها المخلصين .

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ج٥ : ٣٨١ .